

في نور محمد فاطمة الزهراء

بالسخرية، تباروا في هجر القول. وكان أكثر لغتهم - كصلاتهم الصالحة المصلاة - مكاءً وتصديةً [732]! حتى المطعم بن عدي، الرجل الكريم المتعقل، نزع عن هدوئه واتزان وعيه، وصاح وقد بد له عجه بحلمه حماقة: يا محمد! إن أمرك قبل اليوم كان أمماً [733] غير قولك اليوم، وأنا أشهد أنك كاذب! نحن نضرب أكباد الإبل إلى بيت المقدس، مـصعد شهر أو منحدر شهر، ثم تزعم أنك أتيت في ليلة واحدة! واللات والعزى لا أصدقك، وما كان هذا الذي تقول قط! ولقد حسب أولئك المرجفون الذكر أنهم أوقعوا الرسول من قوله هذا في كمين، فأشاعوا في الملأ نبال الإسرائ، وهم يبرقشونه ويرقشونه [734] كما شاءت لهم الأهواء، ويقرنونه من لدنهم بتعليقات وتأويلات يمد هم بها ما انطوت عليه الجوانح والأذهان من عوادي الضغينة واختبال الخيال. وكان أكثرهم أن يروجوا بضاعتهم تلك بين أهل الإسلام (هَذَا لِكَ ابْتِلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزَلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا) [735]. راود الشك بعض النفوس الضعاف، ودنا بعض من حافة الفتنة، وارتد بعض أو كاد. ثم سعت من أهل الشرك طائفة إلى أبي بكر بخبر صاحبه، وفي يقينها أنها ستلفته عن طريقه، فلو أنه اهتز إذا لهاضت نفوس، واهتزت أقدام، وريما ذهب ريح الإسلام. قالوا له: هل لك إلى صاحبك؟ - «ما له؟».